الأصول السكانية لمجتمع البحرين الحديث (1)

الجذور العربية للبحرين في مرحلة دلمون (2800ق.م-323ق.م)[124]

اعتمدت الدراسات المعاصرة في تاريخ البحرين القديم على نتائج بعثات التنقيب الغربية التي انصب اهتمامها نحو دراسة تأثير الحضارات القديمة على إقليم البحرين، بدلاً من العناية بالبنية المحلية لمجتمع البحرين القديم، ونتيجة لذلك فقد غصت كتب التاريخ المعاصر بالحديث عن تأثير السومريين والأكاديين والبابليين على البحرين، دون بذل اهتمام مواز بدراسة الأصول السكانية لمجتمع البحرين في العصر القديم، مما فتح الباب واسعاً لخروج البعض باستنتاجات خاطئة، ومن ثم توظيفها في مقاصد خارجة عن البحث العلمي المحايد.

وقد جاءت هذه النتائج السلبية نتيجة لندرة المادة التاريخية المنشورة عن الأصول السكانية لمجتمع البحرين، وعدم الاهتمام بدور التحالفات القبلية في تشكيل الهوية السياسية للبحرين عبر العصور.

وقد تكررت الحالة نفسها في تناول مرحلة الحضارة الهيلينية وظهور الدولة الساسانية، إذ يمكن ملاحظة تركيز أغلب المصنفات التاريخية على حملات الإسكندر المقدوني، وعلى الحملات الفارسية المحدودة ضد إقليم البحرين، دون وجود دراسات موازية حول جذور التواجد العربي في شرقي شبه الجزيرة العربية، والخليج العربي بشقيه: الشرقي والغربي.

تاريخ استيطان العرب في البحرين:

يعود تاريخ الاستيطان السكاني في البحرين إلى قبل سبعة آلاف سنة، وتحديداً إلى الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها بالعصر الحجري، وذلك في حدود عام 4500 ق.م.

وقد تمثل ذلك الاستيطان المبكر في وجود آثار لجماعات صغيرة من الصيادين في المرخ وحول جبل دخان، الذين انتقلوا إليها في الغالب من شبه الجزيرة العربية.[125]

---

[124] نشرت هذه الدراسة في: **صحيفة الوطن**، السنة الخامسة، العدد 1576، 4 أبريل 2010. ص 17.

[125] عبد الرحمن مسامح (1997) **مقدمة فى تاريخ البحرين القديم**، البحرين. ص.ص 99-101.

وقد بقيت أصول المستوطنين الأقدمين من أهل دلمون غامضة، إلا أن الراجح بأن بناة التلال الثرية بالبحرين كانوا من أتباع قبيلة سامية نزحوا شرقاً صوب الخليج العربي، واندمجوا هناك مع هؤلاء المستوطنين.

وبناء على ذلك فإن أقدم التجمعات السكانية المعروفة بالبحرين تعود إلى فترة الألف الثالثة قبل الميلاد، وكان هؤلاء السكان من أصول سامية؛ إذ أن أسماء ملوك دلمون المحليين، مثل أوبري وريموم، تدل على أنهم من أصل سامي، مما يرجح بأن الدلمونيين كانوا ساميين وبأن ديانتهم السومرية مكتسبة بحكم استيطان بعض السومريين في فترة لاحقة بالبحرين.[126]

وفي وقت لاحق من الألفية الثالثة أتت موجات أخرى من المهاجرين الساميين من داخل شبه الجزيرة العربية، وكان هؤلاء هم بناة القبور التلية، ومن المحتمل أنهم من قبيلة "أجاروم"، وهي قبيلة عربية قدمت من شبه الجزيرة العربية، ثم اكتسبت صبغة محلية من خلال طول فترة إقامتها في البحرين. ويقابل اسم أجاروم: "هجر" في اللغة العربية، وهو اسم عرفت به الأحساء، ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية قد اشتقت من اسم تلك القبيلة، إذ يمكن ملاحظة وجود شبه كبير بين القبور التلية الموجودة في كل من البحرين وتلك التي عثر عليها في الأحساء، ويمثل هذا التشابه دليلاً على أن بناة القبور التلية تلك كانوا من السكان الرحل في شبه الجزيرة العربية.

وبعد دراسة مستفيضة تضمنت قياس أحجام عدة من العرب المعاصرين في الجزيرة العربية والبحرين استنتج كورنوال بأن بناة القبور التلية بالبحرين هم من أصول عربية، مؤكداً بأن الهياكل الموجودة في تلك القبور كانت لأناس من أواسط شبه الجزيرة العربية، وبشكل خاص من وادي الدواسر.

وبناء على ذلك فقد جادل كورنوال بأنه في وقت ما من نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، أو في بداية الألفية الثانية هاجرت قبيلة عربية من داخل شبه الجزيرة العربية واستقرت على السواحل الشرقية لها، حيث وجدوا بيئة مواتية للاستقرار، فأقاموا مستوطنات لهم حول آبار المياه العذبة، واختلطوا بمجموعات سكانية قدمت إلى البحرين من بلاد ما بين النهرين وجنوب الجزيرة العربية وعمان ووادي السند.[127]

---

[126] بيتر كورنوول (1999) **دلمون: تاريخ البحرين في العصور القديمة**، ترجمة محمد الخزاعي، البحرين، ص.ص 80-81.

[127] المرجع السابق، ص.ص 134-137.

ونظراً لأهمية موقع دلمون التجاري، فقد تتابعت حركات الهجرة والاستيطان بها من قبل مجموعات من التجار قدمت إليها من سومر وآشور وبابل الجديدة، إلا أن المكانة التجارية لدلمون قد ضعفت بصورة مؤقتة في منتصف القرن السابع قبل الميلاد نتيجة إلى خضوعها للسيطرة الآشورية، واندلاع العديد من الحروب في تلك الفترة، وتشير بعض الآثار واللقى إلى احتمال وجود مستوطنات بابلية بالبحرين في تلك الفترة.[128]

وما لبثت دلمون أن استعادت مكانتها الطبيعية كملتقى لطرق التجارة، إذ يمكن العثور على العديد من الآثار واللقى التي تثبت بأن حضارة دلمون قد شهدت منذ النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد وحتى اضمحلالها؛ تعايش أجناس مختلفة من المناطق المجاورة، وقد تجمع هؤلاء السكان دون وجود أي مشاكل تذكر، واكتشفت البحرين تعدديتها الثقافية التي تمتعت بها خلال أوج حضارتها في العصر البرونزي.[129]

وقد تعزز العنصر العربي في البحرين على إثر حملة الإسكندر المقدوني على الشرق عام 323 ق.م، والتي مثلت مرحلة انتقالية كبيرة في المنطقة، إذ أنها أدت إلى انهيار الدولة الإخمينية في فارس، ودفعت بالعديد من القبائل العربية للهجرة نحو سواحل شرقي شبه الجزيرة العربية، ومن ثم التحرك للاستيطان في السواحل الغربية لبلاد فارس. كما كان من أهم متغيرات تلك الفترة الحاسمة؛ ظهور الدولة السلوقية، وامتداد نفوذها على البحرين التي أصبح يطلق عليها "تايلوس"، وقد بقي أرخبيل الجزر محافظاً على هذه التسمية حتى القرن الثاني بعد الميلاد.

ولا تصح نسبة سكان البحرين في الفترة المعاصرة إلى القبائل العربية التي استوطنت أرخبيل جزر البحرين آنذاك؛ لأنها من العرب البائدة التي زالت ولم يعد لها أي امتداد، كما أنه من غير الممكن ربط مجتمع البحرين المعاصر مع الأنباط والعماليق الذين استوطنوا البحرين في المرحلة التالية (323ق.م-226م). بل الأرجح هو أن الامتداد الطبيعي لسكان البحرين اليوم يعود إلى مرحلة استيطان القبائل العربية بالبحرين إبان القرن الخامس الميلادي، وهذا ما سيتم تفصيله في حلقة قادمة.

---

[128] المرجع نفسه، ص. ص 156-157.

[129] بيير لومبارد (2002) "قرون دلمون الأخيرة"، ترجمة محمد الخزاعي (2002) **بقايا الفردوس**، البحرين، ص.ص 93-96.